

واستوحش القلب بالدنيا وبأهلها، قال الله تعالى: [فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] [الزمر: 22] وعن قتادة - رضي الله عنه - في قوله: "فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ": "قالوا: يا رسول الله؛ والإنابة إلى دار الخلود، [أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر]. لقد امتنَّ الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - فقال له: [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] [فشرح صدره ويسر أمره، ومن لم يشرح الله صدره فلن ييسر أمره، ولقد أعطى الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - القرآن وجعله شفاءً لأمراض الصدور. وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "إن العسل فيه شفاء من كل داء، ومعلوم أن محبة الناس وألفتهم ومحبتهم سبب لانسراح الصدر، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن يألف، لقد وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلم بأوصاف تدل على انسراح صدره، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "المؤمن غر كريم، [أخرجه أبو داود، وإنما جعل المؤمن غراً نسبة له إلى سلامة الصدر، فكأنه لم يجرب بواطن الأمور، ولم يطلع على دخائل الصدور، ولذلك قابل به "الغر"؛ وشحن صدورهم فَقَدْ قِيلَ: "مَنْ أَوْغَرَتْ صَدْرَهُ اسْتَدْعَيْتَ شَرَّهُ، فَأَعْظَمَ بِهَا مِنْحَةً أَنْ يَصِيرَ عَدُوُّكَ لَكَ رَاجِمًا"، ومن أراد راحة النفس فليحب الخير للمؤمنين، قال ابن تيمية - رحمه الله -: "إن القلب السليم هو الذي يعرف الخير، وسئل ابن سيرين - رحمه الله تعالى -: "ما القلب السليم ؟ فقال: الناصح لله في خلقه". إن سبب شرح الصدور ترك الغيبة، قال - عليه الصلاة والسلام -: "لا تحاسدوا، أحق الناس بعد العلماء بسلامة الصدور طلاب العلم، فلا بد من أن يُربي نفسه على سلامة الصدر، قال: ربيعة "إياكم والمزاح فإنه يفسد المودة ويغل الصدر" وإن من أعظم أسباب شرح الصدور: الإخلاص لله فلو أخلص الناس في كل أعمالهم وتعاملاتهم؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، قال كسرى لوزيريه: ما الكرم؟ قال: التغافل عن الزلل. قال: فما اللؤم؟ قال: الاستقصاء على الضعيف والتجاوز عن الشديد. قال: فما الحياء؟ قال الكف عن الخنا. فإذا وقر الإيمان في قلبه دخل الجنة بسلام، سئل عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - أخبرنا بأوثق عملك في نفسك؟ قال: "إن عملي لضعيف، وإن من أسباب شرح الصدور: حب المؤمنين، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" [رواه البخاري ومسلم]. قال الفضيل: "لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة،